عصر المعلومات بين الأساطير الزائفة والحقائق

عقد مجلس كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية فى واشنطون العاصمة بالولايات المتحدة حلقة نقاشية مؤخرا تحت عنوان عصر المعلومات، "ليس خطأ أحد ولكنه مشكله الجميع" Information age: No one's fault but everyon's problem .

ادارها روبرت دار نتون الأستاذ بجامعة هارفرد وحضرها أكثر من مائتين من أساتذة وأمناء المكتبات وأساتذة وأمناء المكتبات والتاريخ وأنتهت إلى إصدار بيان ختامى بعنوان : ٥ أساطير حول عصر المعلومات 5 Myths about Information age، وذكر هذا البيان الذى نشر على الانترنت ونلخصه فى الفقرات التالية(*)؛ أن هذه الأساطير الزائفة هى :

١/ أن الكتاب بشكله التقليدى فى طريقة إلى الاختفاء :

وهذا غير صحيح فالثابت من احصائيات النشر أن هناك زيادة حادة فى حجم ما نشر فى الولايات المتحدة قدر بأكثر من ٢٨٨ ألف عنوان فى عام ٢٠١٠ عن عام ٢٠٠٩، وكان هناك زيادة قدرت بأكثر من٤١ الف عنوان كتاب جديد فى انجلترا فى نفس العام وهناك احصائيات تثبت ذلك ايضا فى الصين والبرازيل وبالتالى فإن الكتاب بشكله المطبوع لن يختفى ويحل محله الكتاب الرقمى او الالكترونى .

٢/ هذا هو عصر المعلومات :

دائما ما نجد هذه العبارة فى الصحف ووسائل الأعلام بل أيضا فى الإنتاج الفكرى المتخصص، وكأن العصور السابقة لم تكن بها معلومات أو معرفة. لقد كان هناك زيادة مماثلة فى حجم المعلومات المنشورة فى كل عصر تتماشى أن لم تكن تزيد عن حجم المعلومات المنشورة فى عصرنا

(*) http://chronucle.com/5myths-about-information/127/05/in6/6/2011.

obeikandl.com

هذا مقارنة بعدد السكان فى كل عصر . أن وسائل الاتصال مع المعرفة بالنسبة للإنسان قد تنوعت منذ عصر جوتنبرج واختراع الطباعة، ولكن لكل عصر من العصور أدواته الخاصة، فالتواصل مع المعرفة تغير من المشافهة إلى المطبوع ألى المصغر إلى الرقمى، أى أن التغيير فى الوسائل وليس فى المعلومات والمعرفة .

٣/ أن المعلومات كلها الآن تتحول إلى الشكل الرقمى

وهذا غير صحيح أيضا، أن كل تقديرات الشركات والمؤسسات والوزارات، وكل اللوائح، والقوانين وأحكام القضايا، ومعظم الوثائق والأرشيفات لاتزال ورقية، لقد قدرت شركة جوجل عدد الكتب المطبوعة عبر تاريخ البشرية بأكثر من ١٢٩ مليون عنوان، وقدرت أن كل ما تم تحويله إلى شكل رقمى حتى منتصف عام ٢٠١١ لا يزيد عن ١٥ مليون أى ١١,٦٣% فقط، فكيف يمكن أن تكون كل المعلومات بشكل رقمى مع الوضع فى الاعتبار نحو مليون عنوان كتاب مطبوع جديد سنويا على أقل تقدير .

٤/ المكتبات أصبحت مؤسسة لا نفع منها

كيف نفسر هذه المقولة مع رؤية كل هذا الحشد من الطلاب والباحثين وأعضاء هيئة التدريس فى كل مكتبات كليات أو أقسام ومعاهد ومراكز بحوث جامعة هارفرد والجامعات الأخرى، وكيف نصدق هذا مع رؤوية صفوف طويلة من المنتظرين على أبواب ٨٥ فرع من فروع مكتبة نيويورك العامة بالساعات ليجدوا مقعدا بالداخل. لقد تطورت المكتبات فى الفترة الماضية تطورًا ملحوظًا ربما لم يلاحظه كثير منا، فلم تعد فقط مركزًا لحفظ وإمداد المستفيدين بالكتب والأفلام وبعض الدوريات، بل تعدت ذلك لكى تكون مركزًا متكاملاً لإمداد المستفيدين بالمعرفة، ومن المعروف أن المكتبات الأمريكية والكندية هى أول ما يلجئ إليه العاطلون عن العمل للبحث فى إعلانات الوظائف المعلقة على الجدران بها بعد أن امتنعت معظم الصحف اليومية عن نشر إعلانات التوظيف لأسباب اقتصادية، كما أن من المعروف أن أصحاب الأعمال والشركات والمؤسسات والمتاجر الصغيرة يعتمدون على المكتبات المحيطة لمعرفة أخبار السوق والضرائب والتشريعات المتعلقة بهم لعدم قدرتهم على توظيف أخصائى للمعلومات أو الاشتراك فى المصدر التى توفر لهم هذه المعرفة .

٥/ أن المستقبل للمعرفة الرقمية :

يبدوا هذا بالطبع صحيحا. ولكن متى بعد ١٠، ٢٠، أو ٥٠ عاما، طبعا لا نستطيع التخمين، ومع ما ذكرناه سابقا من أن زيادة التحول الرقمى للمعرفة بطيئة للغاية مقارنة بزيادة ما ينشر مطبوعا عاما بعد عام، وذلك كما بينته إحصائيات شركة جوجل المصبوعة إلى كتب رقمية . وهناك نقطة أخرى جديدة بالملاحظة، هل يلغى الجديد كل القديم دائما، كان هناك الراديو ثم ظهر التليفزيون، فهل اختفت الإذاعة، كان هناك التلفزيون ثم ظهرت شبكة الانترنت، فهل اختفى التلفزيون . أن إحصائيات اتحاد الناشرين الامريكية تدل على ان معدل الزيادة فى مبيعات الكتب الالكترونية تزيد بين ١٠% إلى ١٥ % سنويا، ولكن نفس الإحصائيات تدل على

أن الزيادة فى مبيعات الكتب المطبوعة تزيد أيضا بين ١٠% إلى ١٥ % أى بنفس النسبة، أن علماء الانثربولوجيا الثقافية نشروا عدة أبحاث مؤخرا تدل على أن القراءة من المطبوع هى جزء أصيل من ثقافة رجل الشارع والإنسان العادى لهذا، تبدوا هذه المقولة زائفة أيضا مثل المقولات السابقة جميعا ولن تتحقق قبل عدة عقود .

بعد نشر هذا التقرير ، أعد مجلس كليات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية موقعا خاصا وضع فيه التقرير، وطلب تعليقات من الجمهور العادى ومن أمناء المكتبات وأساتذة المكتبات والمعلومات، فجاءت التعليقات متباينة أشد التباين ما بين رافضا لما انتهى إليه التقرير، وما بين المتحفظ، وما بين المؤيد تماما، وكان أكثر المؤيدين هم أساتذة وأمناء المكتبات والمعلومات، وكان أكثر المعارضين هو أساتذة الحاسبات والاتصالات وبعض العاملين فى شركات الانترنت والتحول الرقمى، ورغم فتح هذا الموقع للتعليقات والآراء منذ شهر يوليو ٢٠١١، لا تزال الآراء تتوالى ولا تزال القضية محل شد وجذب وجدل، فما رأيك أنت .

أ.د. أسامة السيد محمود علي

رئيس التحرير

obeikandl.com